الثالث المصري. أكثر من ذلك، فان كلاً من المسؤولين الاميركيين والاسرائيليين اتفقوا على ان الجسر الجوي قد ساهم، بصورة فعّالة، في تحقيق الانتصارات العسكرية الاسرائيلية في الايام الاخيرة من القتال. وعلى سبيل المثال، لقد ذكر الرئيس الاميركي، ريتشارد نيكسون، انه اضافة الى قدرات اسرائيل الذاتية، فان عملية نقل الدعم «بالامدادات الاميركية الجديدة، جعلت الاسرائيليين قادرين على التقدّم حتى مشارف مدينة دمشق، وكانوا قريبين من محاصرة القوات المصرية في سيناء». كما ذكر كيسنجر ان الجسر الجوي الاميركي حوّل المعركة، تدريجاً، ضد مصر، وان الولايات المتحدة الاميركية أنقذت اسرائيل، في نهاية الاسبوع الاول، من الانهيار، من طريق امدادها بالسلاح. وذكرت رئيسة الوزراء الاسرائيلية، غولده مائير، في مذكّراتها، ان الجسر الجوي الاميركي، اضافة الى رفعه الروح المعنوية الاسرائيلية وردعه الاتحاد السوفياتي، «خدم، بلا أدنى شك، في ان يجعل النصر ممكناً»[٧].

كانت الامدادات الاميركية قد أحبطت الآمال السوفياتية بايقاف الانزلاق العسكري العربي، بعدما انقلب ميزان القوى، بشدة، لصالح اسرائيل[٨]. من هنا، كان على موسكو ان تواصل شحنها المعدّات الحربية الى كل من مصر وسوريا[٩]. ولكن عندما واجهت القاهرة ودمشق صعوبة في الموقف العسكري، كثّف الكرملين اشارات التحذير من احتمال التدخّل الى جانبهما، وبدا، اذ ذاك، ان لا مناص من وقف اطلاق النار. ففي ١٦ تشرين الاول (اكتوبر)، زار رئيس الوزراء السوفياتي، الكسي كوسيغن، القاهرة، ليحدّد مع الرئيس المصري، أنور السادات، خطاً مشتركاً للعمل، ويضع خطة مشتركة تُعرَض على الاميركيين. وبصرف النظر عن مضمون الزيارة ذاتها، فقد بدا واضحاً، في حينه، ان رئيس الوزراء السوفياتي سعى الى اقناع القيادة المصرية بتبنّي اقتراح يقضي بايقاف اطلاق النار، والانسحاب من على الاراضي المحتلة، وبتعديل طفيف لرسم الحدود مع اسرائيل[١٠]. ولمّا كانت هناك تحفّظات مصرية جدية من هذا الاقتراح، تميّز البيان الختامي، الذي أصدر في أعقاب الزيارة، بجفاء استثنائي؛ اذ لم ترد فيه أية اشارة الى المحادثات «الودّية»[١١].

ازاء تريّث مصر في قبول وقف اطلاق النار، بسبب المعركة المنتظرة في المنطقة الواقعة بين قناة السويس والممرات، وبسبب انعدام الضمانات في شأن التسوية، استمر الاتحاد السوفياتي في اتصالاته مع الولايات المتحدة الاميركية، مؤكداً ضرورة السعي الى ايجاد مخرج للنزاع. ففي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر)، طلب بريجينيف من كيسنجر المجيء الى موسكو، لمناقشة الوضع في الشرق الاوسط، تطبيقاً لتنفيذ اتفاق السيطرة على النزاعات الاقليمية في وقت الأزمات[١٢]. وعلى الفور، سافر الوزير الاميركي الى موسكو، في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر). وخلال زيارته «نوقش الوضع الراهن في الشرق الاوسط بالتفصيل؛ كما نوقشت الوسائل الممكنة لاعادة السلام الى هذه المنطقة». واتفق الطرفان على ايقاف اطلاق النار، والتقدّم بمشروع قرار مشترك الى مجلس الامن الدولي[١٣]. هكذا شدّدت موسكو، خلال الازمة، على كونها شريكاً في مسؤولية الحل المقبل، فيما كانت فاقدة المبادرة، تماماً، في حرب العام ١٩٦٧.

لقد عُرض مشروع القرار السوفياتي ـ الاميركي المشترك على مجلس الامن الدولي، الذي صادق عليه فوراً. وقد تضمّن ثلاث نقاط: وقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة؛ وتطبيق قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢؛ والبدء بمفاوضات «تحت رعاية مناسبة»، أي تحت رعاية القوتين العظميين[١٤]. غير ان مشروع القرار كشف، وإنْ ضمناً، صعوبة المفاوضات الاميركية ـ السوفياتية؛ اذ انه لم يوضّح الشروط التي يجب مراعاتها في وقف اطلاق النار، وكذلك الظروف التي ستحيط بالمفاوضات؛ ولم يشر، كذلك، الى قضية اسرى الحرب. في المقابل، أشار الى مفاوضات عربية ـ اسرائيلية مباشرة، ممّا دلّ